٢- استطرادٌ حول (الأخ الشيخ أبي إسحاق الحُوَيْني) :

أَقُولُ: وَبِمُناسَبَةِ ذِكْرِ (الأَخِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقِ الحُوَيْنِيّ) -وفَّقَهُ اللهُ لمرضاتِهِ- فَإِنِّي أَذْكُرُ أُموراً (عامَّةً) مُتَعَلِّقةً بِصِلَتِي به، ورأْيِي فيهِ -لكثرة الأسئلة الواردة إليَّ، وتوافُر الإشكالات المتواردة -بسببِه- عليَّ، والتي غَدَتْ فِتْنَةً لبعضِ الناس!-:

١- لِقَاءاتُنا الأُولَى مَعَ أَخِينَا الشيخ أَبِي إِسْحَاق كانت لَـمَّا زَارَ شَيْخَنا الإمامَ الأَلْبَانِيَّ فِي عَمَّان؛ وَذلِكَ قَبْلَ أَكْثَرَ مِنْ (٢٠ سَنَة)، وَكَانَ عَدَدٌ مِنْ هَـذِهِ اللِّقاءاتِ فِي بَيْتِي، وَكُنْتُ حَاضِراً لأَكْثَرِ لِقَاءاتِهِ الأُخْرَى مَعَ شَيْخِنَا - إِنْ لَمْ يَكُنْ كُلَّهَا -.

٢- بَعْدَ هَذَا بِشُهُورٍ زُرْتُ القَاهِرَةَ في رِحْلَـةٍ عِلْمِيَّـةٍ استغرقت أربعـةَ أشـهر، الْتَقَيْتُ فِيهَا أَخَانَا أبا إِسْحَاقَ -وَغَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ-؛ مِنْهُم: الأَخُ الشَّيْخُ مُحَمَّد عَمْرو عَبْد اللَّطِيف -رحمه اللهُ-، وَالأَخُ طَارِق عَوَض الله -حفظهُ اللهُ- وغيرُهُما-.

وَإِنْ كُنْـتُ آخُـذُ علـيهما -معـاً- تأثُّرَهُمـا بِمَـنْهَجِ (التَّفْرِيـقِ بَـيْنَ المُتَقَـدِّمينَ وَالمَتأَخِّرين) - المُبْتَدَعِ الجَدِيدِ -ذَاك!-.

وإنِّي لأرجو لأخي الفاضلِ (طارِقٍ) العودةَ إلى الحقّ، والرجوعَ إلى الأصلِ!

٣- لاَحَظْتُ -قَبْلَ حَوَالَي ثَمانِي سَـنَواتٍ- أَنَّ أَخَانـا الـشيخَ أَبَـا إِسْـحَاقَ بَـدَأَ يَتَحَوَّلُ -ويَتَرَاجَعُ!- شَيْئاً فَشَيْئاً عَنْ عِلْمِ الحَدِيثِ -الَّذِي عَرَفْنَاهُ مِنْ خِلاَلِهِ، وتميَّز به عن أقرانِه-: وَأَنَّهُ بَدَأَ يَسْلُكُ (بعضَ) طرائقِ أَهْلِ الوَعْظِ والقَصَصِ! فَضْلاً عَنْ شيءٍ مِن الخُطَب والمُحاضرات الحَمَاسِيَّة!! فَوَاجَهْتُهُ -في مجالسَ خاصَّةٍ- بِالنَّصِيحَةِ -فِي أَمْرِيكَا، وَفِي مَكَّة، وَفِي الإِمَارَات- **واللهُ على ما أقول شهيدٌ**-.

٤- رَافَقَ هَذَا المَلْحَظَ -أحياناً- وفي مجالسَ عامَّةٍ جامعةٍ- ثَناؤُهُ عَـلَى بَعْـضِ التَّكْفِيرِيِّين الطَّاعِنِينَ بِشَيْخِنَا الإِمَامِ الأَلْبَانِيّ، وَالمُفْتَرِينَ عَلَيْنَا بِالسُّوْءِ وَالبُهْتَان..

وَكَانَ جَوَابُهُ - لَمَّا نَاصَّحْتُهُ بِذَلِكَ - أَنَّهُ نَاصَحَهُم في السِّرِّ!

... بَيْنَمَا هُمْ يَطْعُنُونَ عَلَناً!!!

٥- أمَّا كلامُهُ على (الحَاكِمِيَّة!)، وأنَّها: (أخصّ خصائص الألوهيَّة)!!

فقد سمعتُ سياقَ كلامِه -فيه- وسِبَاقَهُ، وقد رأيتُهُ -إنصافاً- يُريدُ به معنى الاتِّباع السُّنِّيّ، لا المعنى القطبيَّ السياسيّ!

ومَعَ ذلك: فالمصطلحُ -نفسُه- عليه انتقادٌ ظاهرٌ[1]..

ونرجو لأخينا الفاضل الرُّجوعَ عنه، والتَّرْكَ له!! -أولى لك فأولى-..

٦- زَعَمَ غَيْرُ واحِدٍ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا إِسْحَاق يُكَفِّرُ بالإصرارِ على المَعْصِيَة!

وَكُنْتُ أَرْفُضُ - جِدًّا - أَنْ يُنْسَبَ هَذَا القَوْلُ إِلَيْهِ، وَأَعْزُو هَذَا الغَلَطَ -مُدافِعاً- إلى خَلْطٍ في الفَهْم، أو التعبير -إذ توهَّم الإصرارَ استحلالاً!-؛ لاَ إِلَى خَلَلٍ فِي العقيدة والمَنْهَجِ - وَشَتَّانَ مَا بَيْنَهُما -.

وَعَلِمْتُ - قَبْلَ أَسَابِيعَ قَلِيلَةٍ - أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ هَذَا القَوْلِ - صَرَاحَةً - وَلله الحَمْدُ -؛ فلن نفرحَ بالزلَّة، بل نَسْعَدُ -واللهِ- بالرجوع عنها..

٧- بِالرُّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذَا وَذَاكَ: كُنْتُ أَنْصَحُ السَّائِلِينَ -ولا أزالُ- أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ الأخ الشيخ أَبِي إِسْحَاق -سدَّدهُ اللهُ- فِي الجانِبِ العِلْمِيِّ الَّذِي بَرَّزَ فِيهِ -أَلاَ وَهُوَ جَانِبُ السُّنَّة وَالحَدِيثِ وَالتَّخْرِيج-؛ أَمَّا الجَوانِبُ الأُخْرَى: فَلَهُ وَعَلَيْه -كما هو شأنُ سائر أهل التخصُّص العلميِّ-.

---

(١) مع أنِّي رأيتُ بعضَ أهلِ العلمِ السَّلَفِيِّين يَستعملُ مُصطلحَ (الحاكمية) -على الجادّة-؛ كشيخِنا الألبانيِّ -رحمهُ اللهُ-، والشيخ ربيع بن هادي -وَفَّقَهُ اللهُ-؛ فكان ماذا؟!

ومَعَ ذلك فإنِّي أُكرِّرُ: الأَوْلى -عندي- (الرُّجُوعُ عنهُ، والتَّرْكُ له)...

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا - قَطُّ - سَبِيلاً - يَوْماً - يَجْعَلُنِي أُشَكِّكُ بِسَلَفِيَّتِهِ، أَوْ أُحَذِّرُ منه..

٨- أَمَا وَقَدْ عَرَفَ العَامَّةُ وَالخاصَّةُ - اليَوْمَ - والفضلُ لله -وحدَهُ- الشيخ أبا إِسْحَاق الحُوَيْنِي- بِسَبَبِ انْتِشَارِ الفَضَائِيَّات-: فَقَدْ كَثُرَ السُّؤَالُ عَنْه، وَبِخاصَّةٍ أَنَّ هُنَاكَ مِنْ (بعض) عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ (الثِّقَات) مَنْ يُبَدِّعُهُ، ويهتِكُ سَلَفِيَّتَهُ!

وَمَعَ احْتِرَامِي لِهَؤُلاءِ العُلَمَاءِ - مِنْ جِهَةٍ -، وَمَعَ نَقْدِي لبعضِ ما عَلَيْهِ الشيخُ أَبُو إِسْحَاق - مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى - إِلاَّ أَنَّنِي - إِلى الآن - ما أزالُ أُرَجِّحُ المَصْلَحَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ الكُبْرَى (العامَّة)، عَلَى المَصَالِحِ الأُخْرَى (الخاصة) الأَقَلّ!

فَانْتِشَارُ دَعْوَةِ الشيخِ أَبِي إِسْحَاق بَيْنَ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ - اليَوْمَ -، وَهِيَ - بِالعُمُومِ - دَعْوَةٌ إِلى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَلَى مَنْهَجِ سَلَفِ الأُمَّةِ -مَعَ تَعْظِيمٍ ظَاهِرٍ لمشايخ الدَّعوة السلفيَّة، وبخاصَّةٍ شَيْخَنَا الإِمَامَ الأَلْبَانِيَّ -رَحِمَهُ الله-: يُلْزِمُنا، ويُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشُدَّ عَلَى يَدِهِ، وَأَنْ نُؤازِرَهُ، وَأَنْ نُنَاصِحَهُ، وَأَنْ نُذَكِّرَهُ..

وَيُوجِبُ عَلَيْهِ -بالمُقابل- أَنْ يَتَجاوَبَ -بالحقِّ- مَعَ نَاصِحِيه، وَمُذَكِّرِيهِ..

أَقُولُ هَذَا كُلَّهُ مُذَكِّراً -فِي الخِتَامِ- بِأَمْرَيْنِ:

الأَوَّل: أَنَّ مَا نُقِلَ لِي مِن غَضَبِ -أَوْ عَتَبِ- الأَخِ أَبِي إِسْحَاق -عَلَيَّ -بسبب بعضٍ مِمَّا سبق ذِكْرُهُ!- إِنْ ثبتَ!-: فلا وَجْهَ لَهُ فِي الشَّرْعِ؛ فَالأَصْلُ أَنْ يَفْرَحَ الشيخُ أبو إسحاقَ بِنَقْدِ أَخِيه، أَوْ نُصْحِهِ مِن عارفيه...وبخاصَّةٍ إذا تأكّد له نُصْحُ ناقِدِه فيما أدَّاه مِن الاعتراض، وخُلُوُّه مِن الأغراض والأمراض!

الثَّانِي: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَجْعَلُونَ القَوْلَ فِي أَبِي إِسْحَاقِ[1] - فَضْلاً عمَّن دونَهُ مِمَّن انْتُقِدَ أَكْثَرَ منه!- بَابَ امتِحانٍ وَاخْتِبَار -حُكماً بالسُّنَّةِ أو البدعةِ!-.

وأرى أنَّ مِثْلَ هَذَا -هكذا- لا ينبغي ولاَ يَجُوزُ -عَلَى وَجْهِ القَطْعِ والإِلْزَامِ- إلاَّ فِيمَنْ أُقِيمَت عَلَيْهِ الحُجَّةُ العِلْمِيَّةُ المُدْحِضَةُ البَيِّنَةُ -وقد كابرَها-، أَوْ أَطْبَقَتْ عَلى نَقْدِهِ وَنَقْضِهِ قَالاتُ أَهْلِ العِلْمِ -كافَّةً-...

واللهُ -سبحانَه- يعلمُ - أنَّنا ما سَلَكْنا هذا المسلكَ العلميَّ إلا ديانةً وأمانةً..

وأمَّا تَوَهُّمُ -أو ادِّعاءُ- أنَّ هذا التوسُّطَ الشرعيَّ الذي سلكناهُ: لَعِبٌ على حبلَيْنِ! أو إمساكٌ بالعصا من بين الطَّرَفَيْنِ!! فاللهُ -سبحانه- يعلمُ بُطلانَ ذلك وفسادَه، وأنَّا أبعدُ الناسِ عنه، وأكثرُهم حَذَراً -وتحذيراً- منه؛ فلْيَتَّقِ اللهَ الزاعمون..

---

(١) ولَمَّا زار الشيخُ أبو إسحاق الحُوَيْنيُّ -زادَهُ اللهُ توفيقاً- بَلَدَنا الأُرْدُنَّ في شهرِ رَجَبٍ من هذا العام -(١٤٢٩هـ)- التقيناه -مع سائر إخوانِنا مِن مشايخ الشام- في مجلسٍ عامٍّ، وآخَرَ خاصٍّ؛ فرأيتُهُ -عافاهُ اللهُ وقوَّاه -مريضاً، واهناً؛ حتَّى -واللهِ- إنَّنِي تأثَّرْتُ جِدًّا -جِدًّا-؛ شَجَناً على حالتِهِ الصحيَّة -أُخُوَّةً وحُسْنَ عهدٍ-، ثم أعطيتُهُ -بيدي- أوراقَ (ملاحظات) عليه؛ كنتُ قد تناولتُها قبل بضعة أشهر من فضيلة الشيخ ربيع بن هادي -في منزِلِه- في مكّة المشرّفة-.

وظنِّي به -حفظه الله، وعافاه- أن يتعامَلَ مع هذه (الملاحظات) بشفافية وصدق...

والمؤمنون عذَّارون، والمُنافقون عَثَّارون..